فصلٌ
فى حرب نزار وملوك حِمْيَر

قال ابن هشام لما ملكت ملوك حِمْيَر جميع البلدان والأقاليم وصارت بها عمَّالهم يجبون الخراجات من كل أراضى اليمن كان قد ملك اليمن تُبَّع الأكبر بن عمر وذى الأذعار بن أبرهة ذى المنار وكان قد استعمل على جدَّة وما يليها من تهامة عاملًا يقال له عمرو بن عنق الحيَّة وأقام عاملًا آخر على ربيعة ومُضَر يقال لهُ لبيد بن عنبسة الغسَّانى وكان رؤساءُ ربيعة يَفِدُون على الملك تُبَّع الأكبر ويطلبون نوالهُ ويتحفونه بالهدايا وكان يخلع عليهم الحلل ويعطيهم الأموال ويحسن جوايزهم فأخذ عليهم العهد وحالفهم دون غيرهم من القبائل لأنهم كانوا أشد العرب بأسًا وأمنعهم جوارًا وكان البرَّاق بن روحان قد مات فى تلك الأيام وقام بالرياسة بعده ربيعة بن مرَّة التغلبى وهو أبو كُليب والمهلهل ولما نزل لبيد بن عنبسة ببنى ربيعة تزوَّج بإمرأة من أشراف تغلب يقال لها زهراءُ بنت الحرث التغلبى وكانت أمُّها الوجيهة بنت عمرو بن عامر سيد الأزد وأقام عنده لبيدٌ برهةً من الزمان وكان عاتيًا جبَّارًا فأخذ فيهم بالعَنَف والظلم وأساءَ المعاشرة بينهم فزجروه عما هو فيه فلم يزدجر فنبذوا طاعنهُ وامتنعوا من تأدية الخراج إليه فكتب إلى ابن عنقى الحية أن ربيعة ومضر خرجوا عن طاعتهِ وامتنعوا من تسليم الارخاج إليه وكانا كلاهما تحت لواءِ سُلَيمة بن الحرث بن عمروا بن الملك المقصور نب حجر آكل المرار وهو عمُ أمرءِ القيس الشاعر فكتب إليه ابن عنق الحية يخبرهُ بذلك فكتب سليمة إلى رؤساءِ ربيعة يلومهم ويذكرهم العهد وأمر بتجهيز الجنود خفية يريد مخادعة القوم فلما

بلغهم ذلك اجتمعت نزار من عشائر مضر وأياد ونزلوا تهامة وأخذوا فى المشورة فأجمع رأيهم أن يرسلوا نفرًا من أشرافهم إلى ربيعة يعرّفونهم بما فى أنفسهم ويستنجدونهم فانطلق الرسل وهم عمرو بن منقذ التميمى وهو أبو البسوس خالة جساس بن مرة وسويد بن عمرو العامرى وعدس بن زيد الحنظلى والأبرص الأسدى ومالك الأشجعى وعبد الله بن غالب الفهرى ومعهم سادةٌ من أياد ومضر فلما انتهوا إلى ديار ربيعة نزلوا على كليب فوجدوهُ جالسًا فى وجوه قومِه حتى إذا أخذوا مجالسهم قام عمرو بن منقذ التميمى وأنشد يقول

أبلغ ربيعة عنا أن وادينا ... أن سال يومًا بنا لم يخطِ واديها

وإن من جاءنا من آل ذى يمنٍ ... وأن نأت عن قليل عوف يأتيها

أرحامكم قد دنت والدار شاسعةٌ ... فلا جوارٌ ولا آلٌ يدانيها

وأن أرحامنا يومًا وأن بعدت ... فإننا سوف ندنيها ونحميها

الأُمُ واحدةٌ والأب يجمعنا ... إلى نزار وما ندعو أقاصيها

ونحن إخوانكم بالرحم دونهمٌ ... إذا دوتم أجبنا صوت داعيها

إنا اقتطعنا إليكم بالدعاء ولا ... تدعى لنابيةٍ إلاَّ نوافيها

ولو بكم نزلت لم يدعنا أحدٌ ... إلاَّ أجبنا على فورٍ مناديها

قد صار صهبان يغينا بداهيةٍ ... من الأمور التى لا شيء يفنيها

لا يوم من بعد هذا اليوم يخلفهُ ... ولا يدٌ بعد هذا اليوم نجزيها

فاجمعوا أمركم والأمر فى مهلٍ ... من قبل داهية منها نلاقيها

نرضى رضاكم ونعطى من يحاربكم ... أعنة الخيل يوم الروع نرخيها

هذا كليبٌ إذا اشتد الآزار بكم ... فتى نزار التى طابت مساعيها

هذا كليبٌ رجونا للطعان فتى ... أعنة الخيل تلويهِ ويلويها

رحب الذراع بهِ تدعوا ذا ركبت ... عليا معدَّ إذا جاشت هواديها

المستقل يحمل الخطب يحملهُ وبالكتيبة ترميهِ ويرميها
إن المقالة لا تجدى على أحدٍ إلا مقالة فعلٍ لا حقٍ فيها

وقام بعدهُ الأبرص الأسدى وأنشد

دعوتكمُ كى تجمعوا لى فرقةً وبالله لا بالناس جمع افتراقها
ولو أنكم تدعوننا لنجيبكم على الخيل ما مواتها وعتاقها
أحذركم غدر الملوك فإنها أرادت معدًّا كلها باشتياقها
وأقسم أن لو تربط الخيل منكُم وحمير لم تظهر لكم استياقها
لتستصبحن كاسًا من الموت مرةً إذا صحبتها حميرٌ فى دقاقها
أخاف عليكم أن خلوتم بحميرٍ خلايفها الأولى وشد عناقها
فثوروا جميعًا لا تكونوا لأمةٍ أحاديث فى أمثالها ورفاقها

وقام بعدهُ سويد بن عمر العامرى وقال:

نجا فى مرفقاى عن الوساد وبعت النوم منى بالسهادِ
إلا أبلغ ربيعة أن جيشا يجهز مخلبًا فى كل وإد
يريد بوارنا أن لم تعينوا بنصركم على رغم الأعادي
نذكركم قرابتنا وآلًا وأرحامًا تدانت للمناد
عونكم بأرحامٍ دوانٍ وما فيهن من عقدٍ شداد
دعونكم مجدٍ بالقومي فقوموا واسمعوا صوت المنادي
وإن أخاكُم لأخو أبينا فشدوا عقدنا ببنى إياد
فما الكفان بعدكم بكفٍ ولا النار المطيئة كالرماد
فثوروا ثورةً لبنى نزارٍ ولا تخشون عاقبة العناد
وولوا أمركم منا كليبًا كليب الغاب مسترخى النجاد

يقـــود الخيـــل كالعقبـــان تهفـــو ... عليهـــا حـــين يلمـــع كالـــصعاد
يقـــارع حمـــيرًا منـــا كليـــبٌ ... ويـــرغمهم بـــأبيض مـــستجاد

ثم قام بعدهُ مالك الأشجعى فقال

ألا أبلـــغ ربيعـــة لى مقالًـــا ... علـــى بعـــد الـــديار مـــن الـــديار
علـــى لم إذا مـــا جيـــت حلـــت ... بهـــم إحـــدى الملمَّـــات الكبـــار
نناشـــــدكم بأرحـــــامٍ دوانٍ ... عواطـــف لـــيس كالنـــسب المطـــار
بحرمـــة أمكـــم فـــى مـــا زهتـــهُ ... وبـــرة أختهـــا بنـــت الخيـــار
فـــردُّوا الأصـــر والأرحـــام فينـــا ... لنـــسلم عنـــد ذاك مـــن البـــوار
فقومـــوا يـــا ربيعـــة فانـــصرونا ... وشـــدوا أزرنـــا عنـــد الفخـــار
وولوهـــا أخـــا النجـــدات مـــنكم ... كليبًـــا خـــير والٍ فـــى نـــزار
أخـــا الغـــارات قـــد علمـــت معـــدٌّ ... ربـــيط الجـــاش عنـــد المـــستطار
يقـــارع عـــنكُم قحطـــان قهـــرًا ... بحـــدّ حـــسامه تحـــت الغبـــار

فلما فرغت شعراء مضر من أنشادها أجابتهاربيعة بالنصرة وتكلم كليب لما سمع مقالهم ومدحهم لهُ فقال مرحبًا بالإخوة والأحبة قدمتم على من يواسيكم بالأنفس والأموال ومن لا يحب البقاء بعدكم وقد نقضت عهدى مع ملوك اليمن فليس لهم عهدٌ ولاذمةٌ غيران كبيرنا وقدوتنا أبى ربيعة بن مرة فأذهبوا إليه واستنجدوهُ فإنكم تجدونهُ فى أشراف قومِه وإسألوهُ النصرة وقلدوهُ أمركم فإنى لا أقطع رايًا دونهُ ولا أبرم أمرًا بغير اطلاعهِ فنهض القوم فوجدوهُ كما ذكر فى وجوه قومِه فلما رآهم ربيعة ترحب بهم وأكرمهم ولما استقر بهم المجلس تكلمت رسل مضر وقالت يا أبا وايل قد جيناك مستنجدين على أعدائك وأعدائنا فإن سليمة بن الحارث الحميرى يريد استئصال ذرية أولاد إسمعيل لأننا امتنعنا من تسليم الخراج إلى عمالهِ الظالمين وإننا نخشى من داهيةٍ تكون علينا وعليكم تتحدث بها الناس إلى آخر الأبد وقد علمنا أن الملك قد أخذ عليكم عهدًا وميثاقًا ونحن نخشى أن لا نقوم ربيعة معنا لأجل

هذا العهد فهل يا زعيم ربيعة تنبذون العهد معهُ وتنصروننا ونكون نحن وأنتم يدًا واحدة على الأعداء وقد تعلمون أن من أسلم أخاهُ وابن عمهِ سقطعت شجاعتهُ ووهن عزمهُ.

قال وكان ربيعة شيخًا كبيرًا قد سقط حاجباهُ على عينهِ وضعفت حركاتهُ ووهن عظمهُ ورقّ جلدهُ إلا أن بنى نزار كانوا يستشيرونهُ فى أمورهم ويعقدون لهُ فى الجيش إذا قاتلوا ويردون لهُ بركةَ ورايًا سديدًا فلما سمع كلام هولا الرسل قال أيها القوم الوافدون علينا مرحبًا بكم ولكم الإجابة على أعدايكم من بعيد وقريب غير أنى قد كبر سنّى وعجزت عن لقاء الفرسان فعليكم برجل الرجال وبطل الأبطال سيد العرب وإضرمهم نارًا وأعزهم جارًا فيكون الأمر إليه والرأى بيديه قالوا بيّن لنا هذا الرجل فقد أطنبت فى وصفهِ وليس هذا إلاَّ فى ولدك كليب فقال هو من وصفت وإليه أشرت.

قال ولما سمع الوفد كلام ربيعة فرحوا بذلك لأنهم يريدون ريلسة كليب وقيامهُ فقالوا لربيعة ومن كان حاضرًا معهُ من قومِه قوموا بنا إلى كليب فقالوا نعم وأمر ربيعة بأسراج بغلتهِ فأسرجت وركب فدارت سادات العرب حولهُ حتى أقبلوا على كليب فاستقبلهم أحسن استقبال فقال ربيعة يا بنى هؤلاء إخواننا ربيعة ومضر قد وفدوا علينا يتنصروننا على اليمن وهم يظنون أننا نتخلف عنهم لأجل العهد الذى بيننا وبين ملوك اليمن والرأى يا ولدى أن تتقلد رياسة قومك وتقوم فيهم وتنبذ عهد اليمن وتنصر إخوتك وعشيرتك فأنى قد كبرت عن النهوض وممارسة الحروب وقد وليتك الرياسة على قومك أن رضوا وقبلوا ثم التفت على القوم وقال ما تقولون يا سادات ربيعة فقالوا نِعم ما أشرت بهِ وسمعًا وطاعة لما أمرت فهو رئيسنا وولى أمرنا ولا نريد غيرهُ فأثنى عليهم ربيعة وأقبل على كليب وقال قم فى قومك وانصر إخوانك وأرسل إلى ملوك غسان بنبذ العهد وخلع الطاعة حتى تصيرا وفى عشيرتك عهدًا وإنقاهم عرضًا فقال كليب سمعًا وطاعةً قد نقضت عهد ملوك اليمن وبشهد بذلك كل من حضر من ربيعة وأياد ومضر فقال أبوهُ أزل الشكوك عن قلوب قومك بالإرسال إلى ملوك غسان فى نبذ العهد ونقض الذمة لأجل الوثيقة بخلوص نيتك.

قال فأرسل كليب رسولًا إلى لبيد بن عنبسة يقول إننا قد عاهدناك وحالفناك فيما سبق بزعمنا أذك نعم الصديق ولما الآن فقد تبين لنا جوركم وغدركم فنبذنا عهدك وذمتك ورفضنا محالفة قومك وأنت فيما بيننا خليع فشق ذلك على لبيد وغضب غضبًا شديدًا وكتب إلى تبع يخبرهُ بأن كليبًا قد خلع الذمام واجتمعت تحت لوائهِ كل قبائل نزار وأقام ينتظر الجواب ثم أقبل لبيد على شرابهِ ذات ليلةٍ وشرب حتى سكر وذهب عقلهُ فصار يشتم بنى ربيعة وبتهددهم فخرجت عليهِ الزهرا زوجته فسكنتهُ فتحرَّك واشتد غضبهُ وقال هل تعلمين أن أحدًا يجسر على الملوك ويمتنع من تسليم خراجهم وينبذ إليهم عهدهم فقالت نعم أن كليبًا وقومهُ الأرافم يفعلون الجرايم ولا يهابون العظايم فغضب عليها وشتمها فخرجت غضبانةً من عندهِ ودخلت على أمها وأخبرتها بكلامهِ وشتمهِ لها وتهددهِ لقومها فقالت عودى إليه وأصبرى ولا تعجلى لعله سكران لم يشعر بما يقول فرجعت إليهِ فوجدتهُ يسبُّ قومها ويتهددهم فقالت لهُ ويحك أما تستحى وهل لا تخاف أن يشعر قومى بذلك فيكون وبالهُ عليك فقال مثلك يقول لمثلى هذا الكلام وأنا من ملوك غسان وأنت وقومك تحت الإجابة بالسمع والطاعة لنا معاشر الملوك وأنت أَمتى وقومك عبيدى لا يمتنعون من طاعتى قالت كيف ذلك وهم قد خانوك من ذمامهم وأنت بينهم خليع لا عهد لك ولا ذمَّة وهم فى ذلك يحفظون لك النسب والصهارة ويعتبرونك فبيس النسيب والصهر أنت ونعم الأصهار هم لحفظهم صهارتك وجوارك ولولا ذلك لشلوا يدك وقتلوا أصحابك كما فعلوا بعمرو بن بابل إذ طوَّقوهُ بالعار فى قبايل العرب وقتلوا أصحابهُ ونهبوا أموالهُ وأفلت من ظهر جوادهِ حقيرًا ذليلًا وما ينبغى أن أكون أمةً وأمّى الوجيهة بنت مالك الأزدى قال هى التى منعتنى عن عقوبتك ولولا أمك وكرامتها على لشددت قرونك إلى ناقة حدباء وأطرافك إلى أخرى حتى أقطّعك قطعًا فاحشمت عليه فى الكلام فلطمها على وجهها فذرفت عيناها وخرجت باكيةً حتى دخلت على كليب وأنشدت تقول:

ما كنت أحسب والحوادث جمةٌ ... أنا عبيد الحى من قحطانِ

حتى علنتى من لبيدٍ لطمةٌ ... ذرفت لها م حرّها العينان

أن تـــرضَ تغلـــب وايـــلٍ بفعلـــهِ تكـــن الأذلـــة عنـــد كـــل رهـــان
لـــولا الوجيهـــة فطعتنـــى بكـــرةٌ حـــدباء مـــشعلةٌ مـــن القطـــران

فلما فرغت من شعر ما بكت بكاءً شديدًا فقال كليب ما دهاك وأبكاكِ يا زهراء الامةٌ أم قتيلٌ أخبرنى بحديثكِ فأنشأت تقول

تـــسايلنى فاســـأل لبيـــدًا فإنـــهُ أتـى مفعـال منـهُ أدهـى مـن القتـلِ
أترضـــمن هـــذا يـــا كليـــب بـــأنني لمملوقـــةٌ لمـــا زمـــت عـــن الأهـــل
فـــإن كنـــتمُ لا تغـــضبون لهـــذهِ فكونـوا ذلالـه لـه شـارب والأكـل
وإن أنـــتم لم تـــأنفوا بعـــد هـــذهِ فلا ضـمَّ مـنكم سـاعدٌ فـايم النـصل

وأخذتهُ حمية الجاهلية وأجابها يقول:

ازهـــراءُ كفّـــى عـــن ملامـــى فـــإننى أناالملـــك الأصـــلِ
كـريمٌ منيـعٌ مـا جـدٌ رأس قومِـه إذا التقـت الأقـران بـأبى والأسـل
أنا الفارس المقدام فى كل مازق كريم المساعى فى الملمات فالفصل
إذا لم أجلى عنك ما تذكرين لى من الضيم لا قامت على ساقها

ثم قال صرحى بحديثكِ فأخبرتهُ فقال عودى إلى بيتكِ واكتمى أمرك فلعلهُ سكران لم يشعر بما يقول وإن يعود إلى ذلك فأعلمينى وكان كليب حليمًا لا يعجل فعادت وبلغ لبيدًا شعر كليب فأنشأ يقول:

طـال ليلـى فمـا أحـس هجـودا أرقـب الـنجم فـى الظـلام عميـدا
لوعيـــد مـــراوح قـــد لتـــالي مـــن كليـــب فـــزاد عينـــى ســـهودا
فمـن كُنَّـا الملـوك مـن سـالف الـدهر وكـــتم لنـــا قـــديما عبيـــدا
فـأقبلوا اليـوم مـا أتـاكم مـن الأمـر ولا تهلكـــوا هـــلاك ثمـــودا

فلما بلغ كليب شعر لبيد قال صدقت الزهراء فى ما قالت عن لبيد ولم يكفهِ

لطمها وشتمها وما فعل من القبيح ولم ينظر فى حلمنا عليهِ وردِّ زوجتهُ وهو قد فعل بها ما فعل حتى يفتخر ولا يعبأ بنا ولا يعتذر ثم أنهُ كتم أمرهُ وعاد إلى قومِه وحدثهم بكلام الزهراء وانشدهم شعرها وأخبرهم بفعل لبيد وقولهِ فلما سمعوا ذلك الحديث لم يبقَ منهم أحدٌ إلاَّ فاضت عيناه بالدموع ثم قالوا ما لنا بقتال الملوك طاقةٌ فعليك يا أبا المجد بالصبر قال يا قوم الذل مجلبةٌ للبوار فقالوا لا تعجل ولا تكن جالبًا علينا ما جلب قدار على قومهِ عاد فتهلكنا وأنت تعلم قوة النبابعة وشدة با،هم وكثرة جنودهم ونحن لا نوافقك على مخاصمتهم فلما سمع كليب كلامهم خرج غضبانًا وأخذ لأمة حربهِ وركب جوادهُ وقصد بيت لبيد وهجم على درهِ فمنعهُ الحاجب عن الدخول فضرب عنقهُ ودخل فوجدهُ جالسًا على سرير ملكهِ فقال كليب أنت لبيد الذى قال هذا الشعر قال نعم وكيف تدخل على بغير إذنٍ هذا من سوء أدبك وقلة خوفك من العقوبة قال ما دخلت عليك بهذه الحالة وأنا خارج ثوابك أو خائفٌ من عقارك قد حذرت قومنا من غدركم ومكركم معاشر غسان تكاتبين فبنا ملوك اليمن وتستنصرون علينا وأنتم بيننا قاطنين ولم تحفظوا حق الصهارة ولم تراعوا حرمة الحوار قال لبيد بأى شيء مكنت حرمتى ودحات على بغير أذنى قال بلطمك الفتاة وقد ردمتها إليك كرامة للصهارة ومراعاة للجوار فكفرت ونفرت بأى ذنب نساؤنا يُلْطَمن قال لقدرة الملوك على عبيدهم وهل ينبغى لك يا كليب أن تكتم بهذا الكلام فى مجالس الملوك فقال كليب أن لم أقتلك الساعة أنا وقومى عبيدك وانتضى كليب سيفهُ وضايقهُ قبل أن يقوم فقال لبيد أذكر العهد والذمة فقال لا عهد ولا ذمة لك وقد نبذت عهدك وذمتك وحذَّرتك وأنذرتك فلا بالتحذر ولا بالإنذار أنذرت ولا بقومك لحقت حتى كان من سوء فعلك ما كان ثم علا رأسهُ بالسيف فقتلهُ وأنشأ يقول

إن مـــن قتلنـــا اللـــوك خطـــاءً ... أو صـــوابًا فقـــد قتلنـــا لبيـــدا

وعلـــوا مفـــارق الـــرأس منـــهُ ... بحـــسامٍ أبـــان منـــهُ الوريـــدا

وقتلنـــا مـــع الملـــوك ملوكًـــا ... بجيـــادٍ بـــدت تغـــشى الحديـــدا

نسعر الحرب الذى يحلف النا ... س به فوقكم ونذكى الوقودا
أو تردوا لنا الأتاوة والفيء ... وإلا أجعلوا الحروب وعيدا
أن تلمنى عجايزٌ من نزار ... فأرانى فى ما فعلت مجيدا

فلما سمعت ربيعة أن كليبًا قتل بيدًا أشفقوا وأيقنوا بالحروب المتصلة ولاموا كليبًا وقالوا يا أبا المجد قد جلبت علينا حرب ملوك اليمن كما جلب عاقر الناقة على ثمود فقال كليب أن ملوك اليمن واصلون إليكم وإن لم يقتل لبيد فاتركوا الذل والتوالى وشدوا عزايمكم وخذوا أهبتكم.

قال وخرج أخو لبيد إلى ابن عنق الحبة وعندهُ قبايل غسَّان وسادات همذان وهم على الشراب يتناشدون الأشعار فمثّل بين يديه وسجدا ابتلالًا وتعظيمًا فسألهُ ابن عنق الحية عن خبره فقال أيها الملك قتلت ربيعة عاملكم لبيدًا تجرؤًا عليكم ما استخفافًا بكم فلما أن ندرك ثارهُ وإلاَّ فأرحل بالحق بالملك ذى الأذعار فأنشأ يقول

يا أمر ذى حيَّة المتوَّج بالملوك ... وخطبُ الملوك خطبٌ كبيرُ
اجبرن ذا مصيبةٍ من الحميهِ ... هل لما كان من كليب نكيرُ
غدر اليوم فى لبيدٍ كليبٌ ... ولديك الغداة جيشٌ خطيرٌ
فاترك الشرب والمطاعم والخمر ... وقم نحوهُ فأنت النصيرُ

فلما سمع أمن عنق الحية شعرهُ قتل تأَنَّ وليس يضيع دم أخيك ونحن نتحقق قتلهُ ومن قتلهُ فربما كان قاتلهُ غير كليب وبينما هم كذلك إذ وفد على ابن عتى الحية ساداتٌ من ربيعة فأخبروه واعتذروا إليهِ من قتل لبيد وإنهم لم يسعوا ولا أجمع لهم رأيءُ على قتله ولا شعروا بذلك حتى وجدون مقتولًا فى داره ثم أخذ وايستعطفون بخاطرهِ وحكموهُ فى الدية فقال قاتلهُ كليبٌ ولا نجاة لكم من الملك إلا بتسليمهِ والتبرُّؤ منه فقالوا دع عنك هذا فما يجسر كليب ومثله على قتل عامل الملوك قال كيف لا يقتله كليب وأنتم قد نقضتم العهد وامتنعتم من تأدية الخراج إلى الملك وعصيتم عليه قالوا نحن مطيعين غير ممتنعين من تسليم خراج الملك وأما لبيد

فنحن محكّمون فى ديتهِ قال يا سادات ربيعة أنتم تعلمون أنى عاملٌ من عمال الملك تبع ولست أقطع رأيًا دون غيرهِ وأنا أكتب إليهِ وأعرفهُ أن قتل لبيد كان خفيةَ عنكم وإنك لا تعلمون قاتلهُ.

قال الراوى وكتب ابن عنق الحية إلى الملك تبع مخبرهُ بقتل لبيد وإنهُ لم يعلم قاتلهُ فغضب الملك غضبًا شديدًا وقال من متجرًا على قتل عاملى ودعا وزيره الأعظم واستشارهُ فى ذلك فقال الوزير أيها الملك أنهُ لا يتجرَّأ على قتل عاملك من أحياء ربيعة إلاَّ الأراقم رهط كليب وإذا أردت أن تقف على حقيقة ذلك فأبعث كبشًا إلى أحياء ربيعة ومضر ومعدّ بن عدنان وأرسل من يقوده وينادى معاشر العرب هذا كبش الملك فمن يقدران يذبحهُ وأنا أعلم لا يجسر أحد على ذبحهِ إلا الذى فعل عاملك فيذبح الكبش ولا يبالى بعقوبتك وتكون أنت قد عرفت غريمك فاستصوب الملك رأيه وأحضر كبشًا عظيمًا وعلق فى عنقهِ قلادة من الجوهر النفيس وبعث بهِ قايدًا وسايقًا وقال أمضيا بالكبش وطوّفاهُ فى أحياء نزار وناديا عليهِ هذا كبش الملك تبع فمو يجسر على ذبحهُ قال فأقبل قايد الكبش وسايقهِ يخترقان ديار ربيعة ومضر وينادیان عليه كما أمرهما الملك حتى طافا جميع قبايل نزار فلم يجسر أحدٌ على ذلك حتى وصلا إلى ديار وائل فسمع كليب نداءهما فوثب إلى الكبش وضرب بهِ الأرض وذبحهُ وقال هوانٌ لكما ولمن أرسلكما وأخذ الكبش والرجلين وربطهم بالحبال سوية وعلقهم على جذعٍ واحد وأنشأ يقول:

خـــذلناهُ لمـــا أن بلانـــا بكبـــشهِ ... لـيعلم مـا فينـا مـن العـزم والهمـم
فلمـــا امتـــدانا مـــستدلًا ذبحتـــهُ ... وقلـت لـهُ أنـت الـذليل فمـا أفـتهم
واتلفـــت معـــهُ قايديـــهِ ولم يكـــن ... ينـادى أصـمًّا عـن نـداهُ ولا صـمم
صـابتهما فـى الجـزع قهـرًا وعنـوة ... بذى عرض كاللحم ملقى على ضم
وقبـــل لبيـــدٌ قـــد قتلنـــاهُ جهـــرةً ... بلطـم فتـاة الحـى وهـو الـذى لطـم
تركنـاهُ فـوق الأرض شـلوًا مجنـدلًا ... لنجعلهُ رغمًا على رغـم مـن رغـم

وقـال صـحابى إنـك اليـوم جالـبٌ ... علينـا كمـا أجنـى قـدارٌ علـى أَرَم
فقلــت لهــم كــلاَّ كلــوا وتمتعــوا ... فما الذل مبقيكم إذا مات من عزم
لعمـرى ومـا أدرى وإنـى لـصادقٌ ... أفى الذل أفلاحٌ أم العز فى الشيم
وأى ملــوكٍ فــى معــدٍ تركتهــا ... يلـومننى فـى الفتـك جهلًـا ولم أَلَـم
تـصدُّ لعقبـى الأمـر عنـى كـأنني ... قتلـت لهـم خالًـا كريمًـا وابـن عمـر

قال واشتهر الخبر فى جميع بلاد اليمن وبلغ تبع شعر كليب فغضب غضبًا شديدًا ثم جمع أهل رأيه وأرباب دولته ومشورتهِ وقال إن ربيعة ارتكبت أمرًا عظيما نقضت بيمنى ونبذت عهدى وقتلت عاملى وكبشى ما منعت من تسليم خراجى عصيانًا على واستكبارًا وقد وجب أن أسر إليهم أقتل أبطالهم وأسبى نساءهم وأنهب أموالهم ثم أنهُ جهَّز قايدًا من ذوى الشجاعة والبأس وضم إليه رجلًا آخر من أجلاءِ الناس وانفذ معهما عشرين ألفًا من فحول الرجال وقرون الأبطال وقال أمضينا إلى سليمة بن الحارث وابن عنق الحيَّة واهدوهما منى جزيل التحية وقولا لهما يسيران معكما بجندهما لحرب نزار ومن جاورهم من عرب تلك الديار فامتثلا أمرهُ وسارا حتى أقبلا على القوم فاستقبلوهما بالعزازة والكرامة ونهضا معها حتى قربوا من أرض تهامة.

قال الراوى ولما بلغت كليبًا أخبار أهل اليمن أيقن بوقوع الحرب واتصال الفتن فنادى فى قومهِ بأخذ أهبة الحرب وأن يكونوا فى الاستعداد للطعن والضرب وعند الأولوية والرياات على رؤساء العشائر والسادات فأجابتهُ القبايل من ربيعة ومضر وأباد وتتابعت إليه الرجال من كل شعبٍ وواد وساروا وفى مقدمتهم كليب والحارث بن عبَّاد والمهلهل وغيرهُ من الفرسان الذين عليهم الاعتماد فالتقتهم جنود اليمن فى مكانٍ يقال له السلاَّن وكان واسع الجنبات كثير الماء والغدران فاصطفت عند ذلك الخيول وخنقت الطبول وأقبل بعضهم على بعض يصول وعمات الصوارم فى المناكب والنحور ونفدت الرماح من الصدور ودارت رحى الحرب طاحنةً كل فارسٍ جسور وامتدت الواقعة من الصباح إلى المساء حتى اكتست

الأرض لوو الشقايق من كثرة سفك الدماء وكانت الدايرة على أهل اليمن فأنهزم ابن عنق الحبة بمن سلم معهُ من الأنفار وطاروا بين الأقطار كل مطار وسفت بهم سافية الدمار والأدبار فلم يبق منهم بعدها اثنان عند تنازل الأقران وتناوب الضراب والطعان واسر منهم النمر بن عثمان من روسا حمير وقحطان وغيرهُ من السادات والفرسان وقتل فى ذلك اليوم ربيعة أبو كليب مدبر أمور العشيرة ومشيرها وسيدها وأميرها وانصر كليب من السلان بقومِه ظافرًا منصورًا فعزتهُ قبايل نزار بأبيه ربيعة وقرت لهُ بالرياسة وانقادت إليهِ مطيعة وفى ذلك يقول

دعـــانى داعيـــا مـــضرٍ جميعًـــا ... وأنفـــسهم تـــدانت لاختنـــاقِ
فكانـــت دعـــوةً جمعـــت نـــزارًا ... ولَّـــت شـــعثها بعـــد الفـــراق
أجبنـــا داعـــى مـــضرٍ وســـرنا ... إلى الأمـــلاك بالقـــب العتـــاقِ
عليهـــا ل أبـــيض مـــن نـــزارٍ ... يـسافى المـوت كرهًـا مـن يـساقي
أمـــامهمُ عقـــاب المـــوت يهـــوي ... وى الـــدلو أســـلمها العراقـــي
فأردينـــا الملـــوك بكـــل عـــضبٍ ... هزيمتـــــه حـــــذر اللحـــــاق
كـــأنهم العـــام غـــداة خـــافوا ... ـــذى الـــسلاَّن قارعـــة التلاقـــي
فكـــم ملـــك أذقنـــاهُ المنايـــا ... وأخرفـــد جلبنـــا فـــى الوثـــاق

قال ووصل ابن عنق الحية إلى الملك تبع منهزمًا وقص عليه الخبر فغضب ونفر وأخذهُ الفلق والضجر وانشد وقال

إن بيتـــى الـــذى بنـــى لى قحطـــا ... نٌ طويـــل العمـــاد صـــعب المراقـــي
هـــو ســـهلٌ علـــى صـــعبٌ لغـــيري ... مـــــستظلٌ ممنطـــــقٌ بنطـــــاقِ
لـــيس حـــى يرومـــهُ ولـــهُ بـــا ... بٌ مـــن العـــزّ مرصـــدٌ بالوثـــاق
كـــل مـــن رام فتحـــهُ أو أذاهُ ... خرجـــت نفـــسهُ مـــن الأشـــفاق
دونـــهُ عـــسكرٌ تـــضيق بـــهِ الأر ... ضُ عظـــيمٌ مـــسوَّرٌ بـــرواق

ذاك بيتـــى واى بيـــت كبـــبتي ... أو مـذاقٌ فـى الطعـم مثـل مـذاقي
ذاقـهُ النـاس فاحتـسوا منـهُ سمًـا ... ســمَّ أفعــى أعــى بــهِ كــلُّ راق
ســار شمــرٌ مــن الأقاصــى إلى الأر ... ضِ بخيــلٍ تُقَــاد فــى الآفــاق
لـــست بـــالتبع اليمـــانى أن لم ... تـصبح الخيـل فـى سـواد العـراق
وعليهـــا شـــباب صـــدقٍ كـــرامٌ ... يحـسنون الطعـام يـوم الـتلاقي
إنمـــا النمـــر خيرنـــا وهـــو منـــاً ... أنَّ فقـد الكـرام فـى القلـب بـاق
ســـرقوهُ منـــا وآبـــاؤهُ الـــشُمٌ ... فعنـــدى عقوبـــة الـــسرَّاق
ســوف أرمــيهمِ بــشعثٍ ومــرُدٍ ... فــوق جــردٍ مــسوَّماتٍ عتــاق
وإذا مـا الحـروب شـبَّت فكانـت ... مهجـات النفـوس عنـد التراقـي
لفحـــوا نارهـــا وشـــبَّوا لظامـــا ... برمـــــاحٍ مـــــسنونة الأرواق
لـــيس حـــى مفـــاخرٌ لرجـــالي ... لـــو مجـــارٍ لهـــم غـــداة الـــسباق

فلما بلغت هذه الأبيات كليبا غضب من ذلك وقدَّم النمر فضرب عنقه وانشا يقول

غـــضب التبـــع اليمـــانى جهلًـــا ... إذ نـوى النمـر عنـدنا فـى الوثـاقِ
قـــد تركنـــاهُ بعـــد ذاك قتيلًـــا ... لـيس حـى علـى المنـون ببـاق
وضـر بنـا فـى مفـرق الـرأس منـهُ ... مجـــسامٍ يهـــوى إلى الأعنـــاق
ايهـا الموعِـد الـذى لـيس بخـشي ... قـد نهينـاك عـن سـواد العـراق
أبلـــغ التبـــع اليمـــانى أنَّـــا ... فـــوق جـــردٍ مـــسوّماتٍ عتـــاق
نـــضرب الهـــام بالمهنـــد ضـــربًا ... ونهـــين العزيـــز بـــوم التلاقـــي
رُبَّ مَلْـــكٍ متـــوَّجٍ قـــد قتلنـــا ... كـــان ذا عـــزَّةٍ عظـــيم المراقـــي
فـــسلبناهُ ملكـــهُ واســـتجنا ... دمـــهُ لايقيـــهِ مـــن ذاك واقِ

ثم أن كليبًا بعد قتل النمر بن عثمان قال لقوميهِ كونوا على حذر مستعدين للضراب والطعان فسوف تأتيكم جموع بنى قحطان فقالوا نحن طوع يديك وأمرنا عايدٌ إليك.

قال ولما بلغ تبعًا قتل النمر وسمع أبيات كليب أسودّت الدنيا فى عينيه وانقلب المكان عليه وجهز الجنود والفرسان وقدّم عليهم ابن عنق الحية ومعهُ سادات قومه غسان وسارت معهُ قبايل مذحج وذى نواس وهمذان وبلغ خبرهم نزار فالتقوهم بذى الكلاب وهو مكان كثير الهضاب والعشاب فحصل بينهم قتالٌ شديد وقتل من الفريقين عدد عديد وكان كليب قد شدَّ على فارسٍ من بنى لخم وجذام وطعنهُ طعنةً دق صلبهُ واستنزلهُ عن فرسهِ فاعترك عليهِ الحيان وكثر الخصامو كان ابن عنق الحية قد ولَّى بأصحابهِ وطلب الانهزام وحامت بنو همذان عن لوائها إلى أن حجز الظلام ولما أصبحوا أقبل عمرو بن بابل وصاح فى بنى لخم وهمذان وساير القبايل فاقبلوا عنقًا واحدًا وحينئذ اختلط الفارس بالراجل وتضاربوا ما بين الشوى والمقاتل واشتدت الحرب بينهم حتى نَفِدَت النبال وتكسرت النصال وتحطَّمت السمر الطوال وتقطَّعت الأنفاس وتحسرت الفرسان والأفراس واغبرَّت الآفاق وأحمرَّت الأحداق وخاض كليب غمرة الحرب والكفاح وخطف بسيفه المهج والأرواح. وكان قد حمل على عمرو المذكور فحالت أصحابه دونه بالرماح وهم أربعة آلاف فارس حججاج فشق رماحهم حتى طعنهُ فدقَّ صلبهُ ألقاهُ فى تلك البطاح وحملت ربيعة فى أثرهِ حملة رجلٍ واحد فتفرقت عند ذلك جموع حمير فى تلك الفداقد وحازت ربيعة منهم من السبايا والنهاب ما يعجز أنامل الحساب واكثرت الشعراء من ذكر ذلك اليوم فمن ذلك قول عمرو بن معاوية التغلبى.

أتانا ابن عنق الحية القيل قادرًا ... على أمرهِ من تغلب بنت وايلِ

بحرٍّ إلينا كل أجرد سابقٍ ... مغيرًا كما الشاهين بين الأجادل

فراح وكل الخيل تعثر بالدماء ... على مثل أيدى النادبات الثواكل

ولما التقينا بالكلاب كإننا ... اسود شرى لافت أسود حلاحل

إذا اعترضت خيل العدو رأيتها ... كشاءِ الفلافى الذعرقب الأباطل

ويغشى كليبٌ خيلنا بصهيلها ... حواليهِ مثل الرعد صوت الصواهل

فدرنا ودارت غمرة الموت بيننا ... نطاعن عن أحسابنا بالذوال

رميناهم بالفيلق الجم فالتقت ... فوارس ما تخشى ورود المناهل

فمنا الذى يلقى الحمام بقومهِ ... ومن ينتجُ منا لم يعدل بناهل

وولت على أعقابها الخيل شُرَّدًا ... تكسر فى أعقابها كل ذابل

وطارت بعنق الحية القيل شبطةٌ ... ولم يحظَ من جهدٍ إلينا بطليل

فأقسم لو أدركتهُ لتركتهُ ... صريعًا عفير الخد بين الفساطل

وشد كليبٌ شدَّة ورماحهم ... شوارع فيهِ من معلٍ وناهل

فأخرجت الخيلان عنهُ ورمحهُ ... خضيبٌ من اللخمى عمرو بن بابل

وقدمات منهم من صرعنا وعرَّست ... سباع على هامات قوم أفاضل

وقال مهلهل بن ربيعة:

لو كان ناه لابن حية زاجرًا ... لنهاهُ عن وقعة السلاَّنِ

يومٌ لنا كانت رياسة أهلهِ ... دون القبايل من بنى عدنان

غضبت معدٌّ عثها وسمينها ... فيهِ ممالاة على غسان

فأزالهم عنا كليب بطعنةٍ ... فى عمرو بابل من بنى قحطان

ولقد مضى عنها ابن حية مدبرًا ... تحت العجاجة والحتوف دوان

لما رانا بالكلاب كأننا ... أسدٌ ملاوية على خفان

ترك التى سحبت عليه ذيولها ... تحت العجاج بذلةٍ وهوان

ونجا بمهجتهِ وأسلم قومهُ ... متسربلين رواعف المُرَّان

يمشون فى حلق الحديد كأنهم ... جرب الحمال طلين بالقطران

نعم الفوارس لا فروارس مذحجٍ ... يوم الهياج ولا بنو همذان
هزموا العداة بكل أسمر مارن ... ومهندٍ مثل الغدير يمان

وقال ابن عنق الحية يخاطب كليبًا:

دعانى إلى الرأى عند الصواب ... عليكٌ إذا قال قولًا يُجاب
وقال الغنيمة فى وايلٍ ... جبيت بجيش كمثل السحاب
فوارسها الشم من مذحجٍ ... وغسان أهل الوفا والثواب
وحى البراجمة الأعظمين ... ومن حى سعدٍ وحى الرباب
إلى أحرةٍ غير ميمونةٍ ... وقد أبدت الحرب حجل الكعاب
ودارت رحاها على قطبها ... ودرنا عليها بذات الكلاب
وقد أقحم القرن عند اللقا ... ولم يرتجِ الوفد منها إياب
وقد ارخت الخيل آذانبها ... وقدَّ القلوب بسوط العذاب
أطامعهُ الموت يوم الوغي ... وانقيهِ كاسًا من السمّ طاب

فأجابة كليب يقول:

ظننت ظنونًا وقد أخلفتك ... كما أخلف السفر بلع السراب
وقلت الغنيمة فى وابلٍ ... فسرت بجيشٍ كمثل السحاب
كتايب من كل ذى نجدةٍ ... وليس أخو المجد مثل اللعاب
فوارس كالأسد من عامرٍ ... وتغلب أهل الوفا والصواب
وحى البراجمة الأعظمين ... ومن حى سعد وحى الرباب
وقولك فرَّ ولم يلقني ... كليبٌ وأنى زعيم الذياب
أقود خميسًا له لجبةٌ ... وقد قادنى الحين نحو الكلاب
لدى اسرةٍ غير مذمومةٍ ... إذا كشرَّ الحرب عن كل ناب

ودارت رحانـــا علـــى قطـــبكم بخيـــلٍ تجـــول بى ـــساد غـــاب
دهاهـــا الأراقـــم مثـــل الليـــوث إذا مـــا دعـــوا كـــل قـــرمٍ أجـــاب
يـــأُمُوا القتـــال ولا يرجعـــوا ولا للحقـــوا فـــى الـــوغى للـــهراب
ووقـــع الـــسيوف علـــى الـــدارعين وأســـر الكمـــاة وحـــوز النهـــاب
وقـــد زايـــل القلـــب انياطـــهُ ولم يبـــقَ إلاَّ نيـــاط الحجـــاب

قال وكان كليب قد غضب من قول ابن عنق الحية:

وفـــرَّ كليـــبٌ ولم يلقـــني ولم يـــدرانى شـــديد العقـــاب

وقال يسمينى باسم الجبان وما جبنت ويضفنى بالهرب وما هربت فبالذى يحلف بهِ الناس لا تبلينَّهُ بما لا طاقه له بهِ ليرى أينا يفرُ من وجه صاحبهِ وكان كليب يعلم أنهُ لابد من مسير ملوك اليمن إليه بالعساكر والأجناد فجمع قومهُ ورحل ونزل فى وادى ذى أرطى وحفظ أقطارهُ بالأرصاد وبعد ذلك تجمعت قبايل اليمن بالمقدومين وأكابر الأرهاط حتى التقوا فى بطن ذى أراط فامتدت الحرب بين القوم سبعة أيام متوالية وهم فى عراك واختباط وقد اظهرت كل طايفة ما عندها من الشجاعة وحسن الهمة والنشاط.

وفى اليوم السابع انهزمت قبايل اليمن وظفرت بها ربيعة وقتلت منها مقتله مربعة فلما بلغ ذلك تبَّعًا أبرق وأرعد ونادى فى الجيوش وفرسان العشاير وأمر بعقد الألوية وتجهيزة العشاكر فالتقوا بثنية الجبلين واشتدت الحرب بين الطايفتين فانكسرت عساكر اليمن وانهزم كل فريق منهم فى طريق وتمزق شملهم غاية التمزيق فلحقتهم ربيعة والهبتهم ضربًا أحرّ منار الحريق وقد أحمرت الأرض من دمايهم فصارت كلون العقيق وانصرف كليب وفومه ظافرين غانمين وانشا يقول:

ألا ابلغـــا عنـــى اليمـــانى تبَّعًـــا رســـالة قـــومٍ فـــى الفـــلا قـــد تفرَّقـــوا
رســـالة قـــومٍ لم يحُنُّـــوا لريبـــةٍ ولكن إلى العلياءِ فى الروع يرثقوا

وإن قرعوا طارق إلى الخيل والقنا ... سراعًا إل الهيجاء لم يترفقوا
فسايل بنا يوم النية إذ أننت ... جنودك جمعًا والتقينا وقد لقوا
فأنا كرام بالنفوس إلى اللقا ... وما مثلنا عند الكريهة يصدقُ
فَلِمْ لَمْ تُقمْ فى دار عزّ رفيعةٍ ... لها منزلٌ فوق السماءِ محلَّقُ
ومشرفةٍ فى الجو بيضٍ منيفةٍ ... ترى الماء يجرى فوقها يتدفق
لها من عتيق الفرش فى كل مجلس ... بساط كمثل الورق ازهر مشرقُ
بناها لك الغيمان من آل ناعظٍ ... فدم واستقم فيها لعاك ترزقُ

قال ولما انتهت هذه الأبيات إلى التبع وقدمت عليه جنودهُ منهزمة ثارت بهِ الحميَّة وهانت عليه المنيَّة وسار فى قبايل اليمن بكل جارح وكاسره ومعهُ تسعة إخوة وهو العاشر كل واحد منهم مقدَّمٌ على فرقةٍ من العساكر وقد ضربت بين أيديهم الطبول وخفقت الرايات ولمعت النصول حتى نزلوا وادى حزار وتلك الطلول وبلغ ذلك كليبًا فألقى النفير فى قبايل ربيعة ومضر وأياد وطى وقضاعة وكانوا جميعًا حلفاءَ لنزاره فأقبلت عليهِ الجيوش من سيار الأقطار ثم أمر بإحضار مسير تبع إلينا بالجنود والفرسان ومعهُ سادات العشاير وملوك قحطان وقد قادوا إلينا الجيوش والجحافل واستعدوا لحربنا بكل بطل باسل وشجاع مقاتل وخرج الملك بنفسه إلينا وإننا نخشى أن تكون الدائرة علينا فماذا ترون من الراى والتدبير فى هذا الأمر العسير قالوا ذلك إليك فليس من يخالف لك أمرًا ولا يبخل بروحهِ عليك فأرسل كليب رجلًا يهوديًا يرصد الملك ويأتى بخبرهِ فسار اليهودى حتى أشرف على حقيقة أمرهِ وعلم أنهُ قد طلب وادى حزار وتلك الجوانب يريد أن ينزل على ماءِ الذنايب فرجع وأخبر كليبًا فصاح فى قومهِ ودعى أحلاف ربيعة وساربهم من يومهِ طالبًا ذلك المكان بمن معهُ من الفرسان وكان على كعب وغطفان الأخوص بن جعفر فسار فى مقدمة العسكر وهو يقول:

سارت نزار برايةٍ منصورةٍ ... عقد اللواءَ لها كليبٌ وائلُ

أســـيافهم بـــيضٌ صـــوارم بتَّـــرٌ ورمـــاحهم يـــوم النـــزال عوامـــل
ودروعهـــم مـــسرودةٌ وخيـــولهم مـــن تحـــتهم يـــوم اللقـــاء صـــواهل
وصـــــوارمٌ ولـــــسنَّةٌ وفمايـــــلٌ وذوابـــلٌ مـــن دونهـــم وعوامـــل
وســـــواعد مجدولـــــةٌ وهياكـــــلٌ وعلاصـــــم مجزونـــــةٌ وكوامـــــلُ

ولم يزل كليبٌ سابرًا بالمواكب والكتايب حتى انتهى بمن معهُ إلى الكتايب وكان قد قدَّم السفَّاح بن خالد إلى حزار وامرءُ لن يحفظ النهر باب المضيق وأن يوقد نارًا على الجبال ليهندوا بها الطريق فإن غشيَهُ العدو أوقد نارًا أخرى فسار فلما أوقد حملت عليهِ طلايع اليمن فأوقد نارًا ثانية فاتت ربيعة فقاتلتهم وأقامت عليهم القيامة الكبرى وقد ذكرت الناس هذه الحادثة فى الأمثال والقصائد فمن ذلك قول السفاح بن خالد:

ولـيلـــة بـــتُ أوقـــد فـــى حـــزاز هـــديتُ كتائبًـــا مـــتحيراتِ
ضـــللن مـــن الـــسهاد وهـــنَّ لـــولا ســـهاد القـــوم لمـــست هاديـــاتِ
فكُـــنَّ مـــع الـــصباح علـــى جـــذامٍ ولخـــمٍ بالـــسيوف مـــشهَّراتِ

وفى ذلك يقول الفرزدق:

لـــولا فـــوارس تغلـــب ابنـــة وايـــلٍ أخـــذ المليـــك عليـــك كـــل مكـــنِ
قتلـــوا الطلايـــع والملـــوك وأوقـــدوا نـــارين قـــد عَلَتـــا علـــى الـــنيران

وقال الأخوص بن جعفر

أوقـــدت فـــى ركنـــى حـــزاز لتغلـــبِ نـــارًا تـــاجج باللـــهيب المـــضرمِ
وعلـــى ســـارتهمُ الوفـــود لمعـــشرٍ مـــنهم بنـــو شـــيبان ســـفَّاك الـــدمِ
والحـــى مـــن أســـدٍ وال حنيفـــةٍ قـــدموا وهـــم أهـــل الوفـــا والمقـــدم

فلما أصبحوا ظهرت جيوش اليمن فقدَّم كليب على كل قبيلة رئيسًا من أهل الشجاعة والبأس قدَّم على بنى بكر وبنى شيبان مرّة بن ذهل ابا جساس وعلى بنى

قيس طرفة بن العبد وعلى بنى ربيعة ذهل بن حارثة الفارس الدعّاس ونزل كليب على النهر بمن معهُ من الأبطال فلما أقبل المالك قام كليب وركض فى ميونه أصحابهِ وميسرتهم وهو يحرضهم على القتال وقام بعدهُ همام بن مرَّة والسفاح والأتوس العبدى والسفاح بن خالد ومسعود بن عبد القيس الكندى وعمره بن عثمان والحارث بن عباد وجعلوا يحثونهم على الصبر والجلاد وبينما هم كذلك أقبل الملك وقد ملأَ النضاءَ وسد الوادى بكثرة الجنود وأحاطت عساكرهُ بكليب وقومهِ أحاطة الدمالج بالزنود فعند ذلك صاح كليب بأعلى صوتهِ وقال يا معاشر نزاره كونوا أعوانًا على كشف العار فقد اتتكم ملوك اليمن بعسكر جرَّار تريد قتلكم ونهب أموالكم وسبى حريمكم وعيالكم فشدوا عزايمكم واصبروا واثبتوا ولا تتأخروا فاما أن تبلغوا المرام أو تموتوا على ظهر الخيل وأنتم كرام إذا لا يجيكم من هذا الكرب سوى الطعن والضرب.

فلما سمعوا كلامه لعبت بهم نخوة الجاهلية وشدوا عزايمهم وثاروا إلى أسلحتهم وحملوا على القوم بهمةٍ قوية وحينئذ اختلطت الرجال بالرجال وعملت السيوف والنصال ورجفت الأرض من رفض الخيل ولمعت الألسنة فى الفتاح كلمع البرق فى ظلام الليل ومالت العساكر على بعضها البعض كل الميل هذا وقد اشتدت الحرب حتى تقلصت الشفاه وتغضنت الجباه وفارت ينابيع الدناء كما فاضت أمطار السماء وأملى كليب فى ذلك اليوم بلاءً عظيمًا فكان لا يبارز فارسًا منهم إلا قتلهُ ولا يصيب منهم سيدًا إلا وجندلهُ وما زالوا يومهم فى اشد قتال حتى دفعت نزار حمير عن النهر ثلثة أميالة فبرز فارس من أهل اليمن ونادى بالبراز وانشا يقول:

قد علمت وايل بعد النهرِ ... أنا ملاقوهم غداة الفجرِ

نجيءُ بعد ساعةٍ ونجري ... بكل مشهور حسامٍ يفري

فبرز إليه الحارث بن عباد وهو يقول:

نحن منعناكم ورود النهرِ ... بالمرهفات والرماح السمرِ

فوارسٌ من تغابِ وبكرِ ... على خيولٍ شزَّب وضمرِ

ثم حمل كل واحد منهما على صاحبهِ فبادرهُ الحارث بضربةِ أرادهُ قتيلًا وصار على الأرض جديلًا ثم برز فارسٌ من أهل اليمن يقال لهُ الغطريف من قوم يقال لهم بنى شريف وكان شجاعًا عظيمًا قوى الجنان تقر لهُ بالفضل جميع الشجعان وجلل بين الصفين ولعب برمحهِ وانشا يقول:

قـــل لايـــادٍ وجميـــع عـــامرِ هـــل فـيكُم يـا قـوم مـن مبـادرِ
اترءكـــهُ يـــصلى لظـــى المقـــابرِ بمرهـــفِ ماضـــى الـــشباء بـــانرِ

ثم نادى يا آل زار هل من مبارز فبرز إليه فارس عظيم وكان من بنى كنانة يقال لهُ خالد بن تميم وهو يقول:

أتـــاك ليـــثٌ مـــن بنـــى نـــزارِ تعرفـــهُ الأبطـــال بـــالمغوارِ
علـــى كميَـــتٍ أجـــردٍ تَـــرَّار بـــصارمٍ مهنَّـــدٍ بتَّـــار
واسمـــر مـــن القنـــا خطَّـــار يطعـــن فـــى الأوداج والانحـــار
والتقيـــا رجـــالا فـــى الميـــدان وانتـشب بينهمـا الـضراب والطعـان

وجرى بينهما عجايب وأموال تحير منها صناديد الفرسان إلى أن اختلف بينهما طعنتنان وكان الأسبق منهما الغطريف فوقع سنانهُ بين صدر خالد ونحره فطلع يلمع من فقار ظهرهِ فلما رأى كليب فعل الغطريف دعا بفارس يقال لهُ القمطرى وكان من الفرسان الفحول وقال لهُ أبرزالى الغطريف فبرز وهو يقول

لى مـن تغلـب فـى أعلـى النـسب مـن يلقنـى بلـقَ المنايـا والعطـب
يلـقَ ضـرابًا لى بـسيفٍ أو عطـب اجيبـــهُ إذا دعـــانى أو طلـــب

وحمل كل واحد منهما على صاحبهِ بقلبٍ أقسى من الحجر فتطاعنا مليًّا حتى علا بينهما الغبار وحجمها عن النظر وعطف القمطرى على الغطريف فطعنهُ فى صدرهِ وإذا بالرمح قد خرج من ظهرهِ فسقط قتيلًا وحملت أصحابه لاستنقاذه فاعتركت الخيلان وتصايحت الفرسان وتبادرت الشجعان وحمل السواد على السواد والتحم

الضرب والطعان وما زالوا فى قتال وكفاح حتى حجز بينهم الليل وبات كلٌّ من الفريقين يشبُ نارهُ إلى الصباح.

قال وفى اليوم الثانى حملت الرجال على الرجال وتضاربوا بالسيوف الصقال وتطاعنوا بالرماح الوال ولم يزالوا على مذل ذلك من لَدُنْ طلوع المس إلى الزوال حتى أحمرّ بساط الأرض من دماء الأبطال ثم تعاودوا فى اليوم الثالث فتطاعنوا بالرماح وكان يومًا عظيمًا كثير فيهِ القتل والجراح وما زالوا فى قتالٍ وكفاح مدة أربعة أيام وهم يقتتلون فى تلك البطاح حتى اكتست الأرض لون الشقايق من دما الطلى والعواتق وفى اليوم الخامس انكسرت عساكر اليمن وكثر القتل فى أبطالها وأمر سبعةٌ من أفيالها وقد قتات ربيعة منها ما لا يعدّ وافنت منها ما لا يحصى ولا يحدّ وفى ذلك يقول كليب.

لقد عرَفت قحطان صبرى ونجدتي ... غـــداة حـــزاز والحتـــوف دوان

غداة شفيت النفس من حى حميرٍ ... وأورثتهـــا ذلا بـــصدق طعـــان

زلفـــت إلـــين بالـــصفايح والقنـــا ... علـى كـل ليـثٍ مـن بنـى غطفـان

ووائـل قـد جـزَّت مقـادم يعـربٍ ... فـصدَّقتها فـى فخرهـا الـثقلان

قال الراوى وولت ملوك اليمن وقد تبددت جيوشها فى ذلك القفر وغنمت نزار منها من المال والأمتعة ما يكفيهم طوال الدهر ورجع كليب ومن معهُ من سادات قومهِ بالظفر والنصر وقد انتشر ذكره وارتفع شأنهُ وعظم قدرهُ ومكانهُ واتخذ كليب لنفسهِ زى الملوك سبُ الأكاليل والتيجان والقادت إليهِ سابر العربان واعتزت بهِ ربيعة ومضر وأياد واتتهُ الهدايا.

من ملوك البلاد وأقبلت عليه الناس بالتهانى

من كل فجٍ عميق ودعوا له

بالنجاح والتوفيق